الرسالة الثالثة عشر

فى السماع والرقص

كتاب السماع والرقص

جمعه

الشيخ محمد بن محمد بن محمد المنيجى الحنبلى من كلام الأئمة والعلماء المفسرين ،
وقد نقلت هذه النسخة عن أصل مسودته رحمه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

سئل شيخ الإسلام ، بحر العلوم تقى الدين أبو العباس أحمد بن تيمية رضى الله عنه ، عن صفة سماع الصالحين ما هو ؟ وهل سماع القصائد الملحنة بالآلات المطربة ، هو من القرب والطاعات أم هو محرم أو مباح ؟

فأجاب : الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

أصل هذه المسألة : أن يفرق بين السماع الذى ينتفع به فى الدين، وبين ما يرخص فيه رفعاً للحرج ، وبين سماع المتقربين ، وسماع المتلعبين ، فأما السماع الذى شرعه الله لعباده ، وكان سلف الأمة من الصحابة والتابعين وتابعيهم يجتمعون عليه لصلاح قلوبهم وزكاة نفوسهم ، فهو سماع آيات الله وهو سماع النبيين والمؤمنين وأهل العلم وأهل المعرفة ، فان الله تعالى لما ذكر من ذكره من الأنبياء عليهم السلام فى قوله : (أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح ومن ذرية ابراهيم واسرائيل وممن هدينا واجتبينا إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجداً وبكيا)

وقوله تعالى : (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون) وقوله تعالى : (إن الذين أوتو العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجداً ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعا) وقوله تعالى : (وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق) وبهذا السماع أمر الله تعالى فى قوله : (وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون) وعلى أهله أثنى تعالى كما فى قوله تعالى: (فبشر عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه) وقال تعالى فى الأخرى : (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها) فالقول الذى أمروا بتدبره هو الذى أمروا بسماعه وقال تعالى : (كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته) وكما أثنى تعالى على هذا السماع ذم تعالى المعرضين عن هذا السماع فقال تعالى: (وإذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبراً كأن لم يسمعها كأن فى أذنيه وقراً) وقال تعالى : (وقالوا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون) وقال تعالى : (وقال الرسول يارب ان قومى اتخذوا هذا القرآن مهجوراً) وقال تعالى : (فما لهم عن التذكرة معرضين كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة) وقال تعالى : (وقالوا قلوبنا فى أكنة مما تدعونا اليه وفى آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب) وقال تعالى : (وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستوراً وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفى آذانهم وقراً) وهذا هو السماع الذى شرعه الله للمسلمين فى صلواتهم وخطبهم ، كصلاة الفجر وصلاة العشاءين وفى غير ذلك ، وعلى هذا السماع كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يجتمعون ، وكانوا إذا

اجتمعوا أمروا واحداً منهم يقرأ والباقي يستمعون ، وكان عمر يقول لأبي موسى : ذكرنا ربنا فيقرأ وهم يستمعون .

وهذا هو السماع الذي كان النبي صلى الله عليه وسلم يشهده مع أصحابه ، ويستدعيه منهم ، كما في الصحيحين عن عبد الله بن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له : « اقرأ علي. قال: قلت : أقرأ عليك وعليك أنزل . قال : إني أحب أن أسمعه من غيري . فقرأت عليه سورة النساء حتى وصلت إلى هذه الآية: (فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً) قال حسبك فاذا عيناه تذرفان » .

وهذا هو الذي كان النبي صلى الله عليه وسلم يسمعه وأصحابه كما قال تعالى: (لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة) والحكمة هي السنة وقال تعالى: (قل إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرمها وله كل شيء وأمرت أن أكون من المسلمين وان أتلو القرآن فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فقل إنما أنا من المنذرين) وكذلك غيره من الرسل صلوات الله عليهم قال تعالى : (يا بني آدم اما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون) وكذلك يحتج عليهم يوم القيامة كما قال تعالى : (يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على أنفسنا وغرتهم الحياة الدنيا) الآية وقال تعالى : (وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمراً حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها

ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى) الآية .

وقد أخبر الله تعالى أن المعتصم بهذا السماع مهتد مفلح ، والمعرض ضال شقى قال الله تعالى : (فأما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتنى أعمى) الآية وقال تعالى : (ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين) .

وذكر الله يراد به تارة ذكر العبد ربه ، ويراد به الذكر الذى أنزله الله كما قال تعالى : (وهذا ذكر مبارك أنزلناه) وقال تعالى : (أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم) وقال : (يا أيها الذى نزل عليه الذكر انك لمجنون)وقال تعالى :(وما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون) وقال تعالى: (وانه لذكر لك ولقومك) وقال تعالى : (ان هو إلا ذكر للعالمين) وقال تعالى : (وما علمناه الشعر وما ينبغى له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين) وهذا السماع له آثار إيمانية من المعارف القدسية والأحوال الزكية ما يطول شرحها ووصفها ، وله فى الجسد آثار محمودة من خشوع القلب ودموع العين واقشعرار الجلد ، وهذا مذكور فى القرآن ، وهذه الصفات موجودة فى الصحابة ، ووجدت بعدهم آثار ثلاثة من الاضطراب ، الصراخ ، والاغماء ، والموت فى التابعين .

وبالجملة : فهذا السماع هو أصل الإيمان ، فان الله تعالى بعث محمداً

صلى الله عليه وسلم إلى الخلق أجمعين ليبلغهم رسالات ربهم ، فمن سمع ما بلغه الرسول فآمن به واتبعه اهتدى وأفلح ، ومن أعرض عن ذلك ضل وشقى .

وأما سماع المكاء والتصدية ، والتصدية : هي التصفيق بالأيدي ، والمكاء : مثل الصفير ونحوه ، فهذا سماع المشركين الذي ذكره الله تعالى في قوله : (وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية) فأخبر الله تعالى عن المشركين أنهم كانوا يتخذون التصفيق باليد والتصويت باليد قربة ودينا ، ولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه يجتمعون على مثل هذا السماع ولا حضروه قط ، ومن قال أن النبي صلى الله عليه وسلم حضر ذلك فقد كذب عليه باتفاق أهل المعرفة بحديثه وسننه ، والحديث الذي ذكره محمد بن طاهر المقدسي في مسألة السماع في صفة التصوف ، ورواه من طريقه الشيخ أبو حفص عمر السهروردي صاحب عوارف المعارف ، أن النبي صلى الله عليه وسلم أنشده إعرابي :

قد لسعت حية الهوى كبدي فلا طبيب لها ولا راقي
إلا الحبيب الذي شغفت به فعنده رقيتي وترياقي

وأنه تواجد حتى سقطت البردة عن منكبيه . فقال معاوية : ما أحسن لهوكم. فقال : مهلا يا معاوية ، ليس بكريم من لم يتواجد عند ذكر الحبيب هو حديث مكذوب موضوع باتفاق أهل العلم بهذا الشأن ، وأظهر منه كذبا حديث آخر يذكرون فيه أنه لما بشر الفقراء بسبقهم للأغنياء إلى الجنة تواجدوا وخرقوا أثوابهم ، وأن جبريل نزل من السماء فقال: يا محمد

إن ربك يطلب نصيبه من هذه الخروق ، فأخذ منه خرقة فعلقها بالعرش وان ذلك هو زيق الفقراء . وهذا وأمثاله إنما يرويه من هو من أجهل الناس بحال النبي ﷺ وأصحابه ، ومن بعدهم بمعرفة الإيمان والإسلام ، وهو شبيه برواية من روى أن أهل الصفة قاتلوا مع الكفار لما انكسر المسلمون يوم حنين أو غير يوم حنين ، وأنهم قالوا نحن مع الله من كان معه كنا معه ، ومن روى أن صبيحة المعراج وجد أهل الصفة يتحدثون بشيء كان الله أمر نبيه ان يكتمه ، فقال لهم : من أين لكم هذا فقالوا : الله أعلمنا إياه . فقال : يارب ألم تأمرني أن لا أفشيه فقال : أمرتك أنت أن لا تفشيه ولكن أنا أعلمتهم به ، ونحو هذه الأحاديث التي يرويها طوائف منتسبون إلى الدين مع فرط جهلهم بدين الإسلام ، ويبنون عليها من النفاق والبدع ما يناسبها ، تارة يسقطون التوسط بالرسول ، وأنهم يصلون إلى الله من غير طريق الرسول مطلقاً ، وهذا أعظم من كفر اليهود والنصارى ، فان أولئك أسقطوا وساطة رسول واحد ، ولم يسقطوا وساطة الرسل مطلقاً ، وهؤلاء إذا أسقطوا وساطة الرسل مطلقاً عن أنفسهم كان هذا أغلظ من كفر أولئك ، لكنهم يقولون لا تسقط الوساطة إلا عن الخاصة لا عن العامة ، فيكونون أكفر من أهل الكتاب من جهة اسقاط السفارة مطلقاً عنهم ، وفي بعض الأحوال ، وأهل الكتاب أكفر من جهة اسقاط السفارة مطلقاً ، بل أهل الكتاب الذين يقولون أنه رسول إلى الأميين دون أهل الكتاب ، خير من هؤلاء ، فان أولئك أخرجوا عن رسالته من له كتاب ، وهؤلاء يخرجون عن رسالته من لا يبقى معه إلا خيالات ووساوس وظنون ألقاها اليه الشيطان ، مع ظنه أنه من خواص أولياء الله وهو من أشد أعداء الله ، وتارة يجعلون هذه الآثار المختلفة حجة فيما

يفترونه من أمور تخالف دين الإسلام ، ويدعون أنها من أسرار الخواص كما يفعله الملاحدة والقرامطة والباطنية ، وتارة يجعلونه حجة في الاعراض عن كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ما ابتدعوه من اتخاذ دينهم لهواً ولعباً .

وبالجملة ، قد علم بالاضطرار من دين الإسلام ، أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يشرع لصالحي أمته وعبادهم وزهادهم أن يجتمعوا على استماع الأبيات الملحنة ، مع ضرب بالأكف أو ضرب بالقضيب أو الدف ، كما لم يبح لأحد أن يخرج عن متابعته واتباع ماجاء به من الكتاب والحكمة ، لافي باطن الأمر ولا في ظاهره ، لا لعامي ولا لخاص ، ولكن رخص النبي صلى الله عليه وسلم في أنواع من اللهو في العرس ونحوه ، كما رخص للنساء أن يضربن بالدف في الأعراس والأفراح ، وأما الرجال على عهده فلم يكن أحد منهم يضرب بدف ولا يصفق بكف ، بل قد ثبت عنه في الصحيح أنه قال : « إنما التصفيق للنساء والتسبيح للرجال » ولعن المتشبهات من النساء بالرجال ، والمتشبهين من الرجال بالنساء ، ولما كان الغناء والضرب بالدف والكف من عمل النساء ، كان السلف يسمون من يفعل ذلك مخنثاً ، ويسمون الرجال المغنين مخانيث ، وهذا مشهور في كلامهم ومن هذا الباب حديث عائشة رضي الله عنها ، لما دخل عليها أبو بكر في أيام العيد وعندها جاريتان من الأنصار ، تغنيان بما تقاولت به الأنصار يوم بعاث . فقال أبو بكر : أبمزمور الشيطان في بيت رسول الله ﷺ ، وكان النبي ﷺ معرضاً عنه مقبلا بوجهه إلى الحائط . فقال : « دعهما يا أبا بكر فان لكل قوم عيداً وهذا عيدنا أهل الاسلام » فني هذا الحديث بيان أن هذا لم يكن من عادة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه

الاجتماع عليه ، ولهذا سماه الصديق أبو بكر رضى الله عنه مزمور الشيطان، والنبي صلى الله عليه وسلم أقر الجوارى عليه معللا ذلك بأنه يوم عيد ، والصغار يرخص لهم فى اللعب فى الأعياد كما جاء فى الحديث : ليعلم المشركون أن فى ديننا فسحاً . وكما كان يكون لعائشة لعب تلعب بهن، وتجىء صواحباتها من صغار النسوة يلعبن معها ، وليس فى حديث الجاريتين أن النبي صلى الله عليه وسلم استمع إلى ذلك ، والأمر والنهى إنما يتعلق بالاستماع لا بمجرد السماع ، كما فى الرؤية فانه إنما يتعلق بقصد الرؤية لأنها يحصل منها بغير الاختيار ، كذلك فى اشتمام الطيب ، إنما ينهى المحرم عن قصد الشم ، فأما إذا شم ما لا يقصده فإنه لا إثم عليه ، وكذلك فى مباشرة المحرمات كالحواس الخمس من السمع ، والبصر ، والشم، والذوق ، واللمس ، إنما يتعلق الأمر والنهى فى ذلك بما للعبد فيه قصد وعمل ، وأما ما يحصل بغير اختياره فلا أمر فيه ولا نهى ، وهذا مما وجه به الحديث الذى فى السنن حديث ابن عمر أنه كان مع النبي صلى الله عليه وسلم فسمع صوت زمارة راع فعدل عن الطريق وقال : « هل تسمع » حتى انقطع الصوت فإن من الناس من يقول بتقدير صحة الحديث لم يأمر ابن عمر بسد أذنه ، فيجاب : بأن ابن عمر لم يكن يستمع وإنما كان يسمع وهذا لا إثم فيه ، وإنما النبي صلى الله عليه وسلم عدل طلباً للأكمل والأفضل ، كمن اجتاز بطريق فسمع قوماً يتكلمون بكلام محرم فسد أذنه كيلا يسمعه فهذا حسن ، ولو لم يسد أذنه لم يأثم بذلك ، اللهم إلا أن يكون فى سماعه ضرب دينى لا يندفع إلا بالسد .

وبالجملة فهذه مسألة السماع تكلم فيها كثير من المتأخرين فى السماع هل هو محظور أو مكروه أو مباح، وليس المقصود بذلك رفع الحرج بل مقصودهم

بذلك أن يتخذ طريقاً إلى الله ، يجتمع عليه أهل الربابات لصلاح القلوب ، والتشويق إلى المحبوب ، والتخويف من الهروب ، والتحزين عن فوات المطلوب يستنزل به الرحمة ، ويستجلب به النعمة ، ويحرك به مواجيد أهل الإيمان ، ويستجلى به مشاهد أهل العرفان ، حتى يقول بعضهم : إنه أفضل لبعض الناس أو للخاصة من سماع القرآن من عدة وجوه ، وحتى يجعلونه قوتاً للقلوب ، وغذاء للأرواح ، وحادياً للنفوس ، يحدوها على المسير إلى الله عز وجل ويحثها على الإقبال عليه ، ولهذا يوجد من اعتاده واغتذى به ، لا يحب القرآن ولا يفرح به ولا يحدى في سماع الآيات كما يحدى في سماع الأبيات ، بل إذا سمعوا القرآن سمعوه بقلوب لاهية ، وألسن لاغية ، وإذا سمعوا سماع أهل المكاء والتصدية ، خشعت الأصوات ، وسكنت الحركات ، وأصغت القلوب ، وتعاطت المشروب ، فمن تكلم في هذا هل هو مكروه أو مباح ، وشبهه بما كان النساء يغنين به في الأعياد والأفراح ، لم يكن قد اهتدى إلى الفرق بين طريق أهل الخسارة والفلاح ، ومن لم يتكلم في هذا هل هو من الدين ، ومن سماع المتقين ، ومن أحوال المقربين والمقتصدين ، ومن أعمال أهل اليقين ، ومن طريق المحبين المحبوبين ، ومن أفعال السالكين إلى رب العالمين ، كان كلامه فيه من وراء وراء ، بمنزلة من سئل عن علم الكلام المختلف فيه ، هل هو محمود أو مذموم ، فأخذ يتكلم في جنس الكلام وانقسامه إلى الاسم والفعل والحرف ، أو يتكلم في مدح الصمت أو في أن الله أباح الكلام والنطق . وأمثال ذلك مما لا يمس المحل المشتبه المتنازع فيه ، وإذا عرف هذا :

فاعلم أنه لم يكن في القرون الثلاثة المفضلة لا بالحجاز ، ولا بالشام ، ولا

باليمن، ولا بمصر ، والمغرب ، والعراق، وخراسان ، من أهل الدين والصلاح والزهد والعبادة ، من يجتمع على مثل سماع المكاء والتصدية لا بدف ، ولا بكف ، ولا بقضيب ، وإنما حدث هذا بعد ذلك فى أواخر المائة الثانية ، فلما رآه الأئمة أنكروه . فقال الشافعى : خلفت ببغداد شيئاً أحدثته الزنادقة يسمونه التغبير يصدون به الناس عن القرآن ، وقال يزيد بن هرون : مايغبر إلا فاسق ومتى كان التغبير . وسئل عنه أحمد فقال : أكرهه هو محدث . قيل: أتجلس معهم ؟ قال : لا . وكذلك سائر أئمة الدين كرهوه ، وأكابر الشيوخ الصالحين لم يحضروه ، فلم يحضره مثل إبراهيم بن أدهم ، ولا الفضيل بن عياض، ولا معروف الكرخى، ولا أبو سليمان الدارانى ، ولا أحمد بن أبى الحوارى، ولا السرى السقطى وأمثالهم ، والذين حضروه من الشيوخ من المحمودين تركوه فى آخر أمرهم ، وأعيان المشايخ عابوا أهله كما ذكر ذلك الشيخ عبد القادر ، والشيخ أبو البيان وغيرهما من الشيوخ ، وما ذكره الإمام الشافعى رضى الله عنه أنه من أحداث الزنادقة ، من كلام إمام خبير بأصول الإسلام ، فان هذا السماع لم يرغب فيه ويدعو اليه فى الأصل إلا من هو متهم بالزندقة ، كابن الراوندى ، والفارابى ، وابن سينا وأمثالهم ، كما ذكر أبو عبد الرحمن السلمى فى مسألة السماع عن ابن الراوندى أنه قال : اختلف الفقهاء فى السماع فأباحه قوم ، وكرهه قوم ، وأنا أوجبه أو قال : آمر به. فخالف إجماع العلماء فى الأمر به ، وأبو نصر الفارابى كان بارعا فى الغناء الذى يسمونه الموسيقا ، وله فيه طريقة معروفة عند أهل صناعة الغناء ، وحكايته مع ابن حمدان مشهورة لما ضرب فأبكاهم ، ثم أضحكهم ، ثم نومهم ، ثم خرج . وابن سينا ذكر فى إشاراته فى مقامات العارفين من الترغيب فيه ،

وفي عشق الصور ما يناسب طريقة أسلافه الصابئين المشركين ، الذين كانوا يعبدون الكواكب والأصنام كأرسطو وشيعته من اليونان ، ومن اتبعه كبرقلس ، وثامسطيوس ، والإسكندر الأفروديسي ، وكان أرسطو وزير الإسكندر بن فيلفوس المقدوني الذي تؤرخ له اليهود والنصارى ، وكان قبل المسيح بنحو ثلاثمائة سنة ، وأما ذو القرنين المذكور في القرآن الذي بنى السد ، فكان قبل هؤلاء بزمان طويل ، وأما الإسكندر الذي وزر له أرسطو ، فانه إنما بلغ بلاد خراسان ونحوها في دولة الفرس لم يصل إلى السد ، وهذه الأمور مبسوطة في غير هذا الموضع ، وابن سينا أحدث فلسفة ركبها من كلام سلفه اليوناني ، ومما أخذه من أهل الكلام المبتدعين الجهمية ونحوهم ، وسلك طريق الملاحدة الاسماعيلية في كثير من أمورهم العلمية والعملية ، ومزجه بشيء من كلام الصوفية وحقيقته تعود إلى كلام إخوانه الإسماعيلية القرامطة الباطنية ، فان أهل بيته كانوا من أتباع الحاكم الذي بمصر ، وكانوا في زمانه ودينهم دين أصحاب رسائل إخوان الصفا وأمثالهم من أئمة منافقي الأمم الذين ليسوا مسلمين ، ولا يهود ، ولا نصارى ، وكان الفارابي قد حذق في حروف اليوناني التي هي تعاليم أرسطو وأتباعه من الفلاسفة المشائين وفي أصولهم صناعة الغناء ، ففي هذه الطوائف من يرغب لله ، ويجعله مما تزكو به النفوس وترتاض به وتهذب به الأخلاق .

وأما الحنفاء أهل ملة إبراهيم الخليل ، الذي جعله الله للناس إماماً ، وأهل دين الإسلام لا يقبل الله من أحد ديناً غيره ، المتبعون لشريعة خاتم الرسل محمد صلى الله عليه وسلم تسليماً ، فهؤلاء ليس منهم من يرغب في ذلك ولا يدعو اليه ، وهؤلاء هم أهل القرآن ، والإيمان ، والهدى ، والرشاد ،

والسعد ، والفلاح ، وأهل المعرفة ، والعلم ، واليقين ، والإخلاص لله ، والحب له والتوكل عليه ، والخشية منه ، والإنابة اليه .

ولكن حضره أقوام من أهل الإرادة وممن له نصيب فى المحبة لما فيه من التحريك لهم ، ولم يعلموا غائلته ولا عرفوا مغبته كما أدخل قوم من الفقهاء أهل الإيمان بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ، فى أنواع من كلام الفلاسفة المخالف لدين الإسلام ظناً منهم أنه حق موافق ، ولم يعلموا غائلته ولا عرفوا مغبته ، فان القيام بحقائق الدين علماً وقولا وعملا وذوقا وخبرة لا يستقل به أكثر الناس ، ولكن الدليل الجامع هو الاعتصام بالكتاب والسنة ، فان الله عز وجل بعث محمداً صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق ، ليظهره على الدين كله ، وكفى بالله شهيداً ، وقد قال تعالى : (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا) وقال تعالى : (وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) قال عبدالله ابن مسعود رضى الله عنه : خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطاً وخط خطوطاً عن يمينه وشماله ، ثم قال : « هذا سبيل الله وهذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه ثم قرأ : (وأن هذا صراطى مستقيما) » ومن كان له خبرة بحقائق الدين وأحوال القلوب ومعارفها وأذواقها ومواجيدها عرف أن سماع المكاء والتصدية لا يجلب للقلب منفعة ولا مصلحة ، إلا وفى ضمن ذلك من الضلال والمفسدة ما هو أعظم منه ، فهو للروح كالخمر للجسد ، يفعل فى النفوس أعظم ما تفعله حميا الكؤوس ، ولهذا يورث أصحابه سكراً أعظم من سكر الخمر ، فيجدون لذة كما يجد شارب الخمر ، بل يحصل لهم أكثر وأكبر مما يحصل لشارب الخمر ، ويصدهم ذلك عن ذكر الله ، أعنى الصلاة

أعظم مما يصدهم الخمر ، ويوقع بينهم العداوة والبغضاء أعظم من الخمر ، حتى يقتل بعضهم بعضاً من غير مس بيد ، بل بما يقترن بهم من الشياطين ، فإنه يحصل لهم أحوال شيطانية بحيث تتنزل عليهم الشياطين في تلك الحال ، ويتكلمون على ألسنتهم كما يتكلم الجني على لسان المصروع ، إما بكلام من جنس كلام الأعاجم الذين لا يفقه كلامهم كلسان الترك أو الفرس أو غيرهم ، ويكون الإنسان الذي لبسه الشيطان عربياً لا يحسن أن يتكلم بذلك ، بل يكون الكلام من جنس كلام من تكون تلك الشياطين من إخوانهم ، وإما بكلام لا يعقل ولا يفهم له معنى ، وهذا يعرفه أهل المكاشفة شهوداً وعياناً ، وهؤلاء الذين يدخلون النار مع خروجهم عن الشريعة هم في هذا النمط ، فإن الشياطين تلبس أحدهم بحيث يسقط إحساس بدنه حتى ان المصروع يضرب ضرباً عظيما وهو لا يحس ولا يؤثر في بدنه ، فكذلك هؤلاء تلبسهم الشياطين فتدخل بهم النار ، وقد تطير بهم في الهواء ، وإنما يلبس أحدهم الشيطان مع تغيب عقله كالمصروع وبالمغرب ضرب من الزط يقال لأحدهم المصل يلبسه الشياطين ويدخلها ويطير في الهواء ، ويفعل أشياء أبلغ مما يفعله هؤلاء ، وهم من الزط الذين لا خلاق لهم ، والجن تخطف كثيراً من الإنس وتغيبه عن أبصار الناس ، وتطير به في الهواء وقد باشرنا من هذه الأمور ما يطول وصفه ، وكذلك هؤلاء المتولهون المنتسبون إلى بعض الشيوخ ، إذا حصل لهم وجد سماعي عند سماع المكاء والتصدية ، منهم من يصعد في الهواء ومنهم من يدخل النار ، ويأخذ الحديد المحمى بالنار يضعه على بدنه ، وأنواع من هذا الجنس ، ولا تحصل لهم هذه الأفعال عند الصلاة ، ولا عند الذكر ، ولا عند قراءة القرآن ، لأن هذه عبادات شرعية إيمانية اسلامية نبوية محمدية تطرد الشياطين ، وتلك عبادات بدعية شركية شيطانية فلسفية تستجلب الشياطين .

وبالجملة فعلى المؤمن أن يعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يترك شيئاً يقرب إلى الجنة إلا وقد حدث به ، ولا شيئاً يبعد عن النار إلا وقد حدث به وأن هذا السماع لو كان مصلحة لشرعه الله ورسوله ، فان الله يقول : (اليوم أكملت لكم دينك) الآية وإذا وجد السامع به منفعة لقلبه ، ولم يجد شاهد ذلك من كتاب الله ، ولا من سنة رسوله ، لم يلتفت إليه كما أن الفقيه إذا رأى قياساً لا يشهد له الكتاب والسنة لم يلتفت إليه .

وفصل النزاع فى حكم مسألة السماع ثلاث قواعد من أهم قواعد الإيمان والسلوك ، فمن لم يبن عليها فبناؤه على شفا جرف هار .

﴿ القاعدة الأولى ﴾ ان الذوق والحال والوجد هل هو حاكم أو محكوم عليه بحاكم آخر أو متحاكم اليه ، فهذا منشأ ضلال من ضل من المفسدين لطريق القوم الصحيحة ، حيث جعلوه حاكماً يتحاكمون اليه فيما هو صحيح وفاسد ، فجعلوه حكماً بين الحق والباطل فنبذوا الكتاب والسنة ، ولم يحكموا العلم والنصوص وحكموا الأذواق والحال والمواجيد فعظم الفساد وطمست معالم الإيمان والسلوك المستقيم ، والعجب أنهم دخلوا فى الرياضات والمجاهدات والزهد ليتجردوا عن شهوات النفوس وحظوظها ، فانتقلوا من شهوات إلى شهوات أكبر منها ، ومن حظوظ إلى حظوظ أعظم منها ، وكان حالهم فى الشهوات التى انتقلوا عنها أكمل ، وخير من هؤلاء لأنهم لم يعارضوا بها العلم ، ولا قدموها على النصوص ، ولا جعلوها قربة وديناً ، واقفون مع حظوظهم من الله ، فانون بها عن مراد الله ، وإنما زهدوا فى حظ إلى حظ أعلا منه ، وتركوا شهوة بشهوة ، فليتدبر اللبيب هذا فى نفسه وفى غيره ، فكل ما خالف مراد الله الدينى من العبد فهو حظه وشهوته ذوقا كان أو حالا أو وجداً أو لا

أوصورة ونحو ذلك ، فمن قدمه على مراد فهوأسوأ حالا ممن يعترف أنه يعصى ويحبه ، وأن مراد الله أولى بالتقديم منه ، وأنه ذنب تجب التوبة منه .

﴿ القاعدة الثانية ﴾ أنه إذا وقع النزاع فى حكم فعل من الأفعال أوحال أوذوق ، هل هوصحيح أو فاسد ، أو حق أو باطل ، وجب الرجوع فيه إلى الحجة المقبولة عند الله من كتاب الله وسنة رسوله فهذا هو الأساس ، ومن لم يبن على هذا الأصل فعلمه وسلوكه ليس على شىء .

﴿ القاعدة الثالثة ﴾ إذا أشكل على الناظر أوالسالك حكم شىء ، هل هو الإباحة أو التحريم فلينظر إلى مفسدته وثمرته وغايته ، فان كان مشتملا على مفسدة راجحة ظاهرة فانه يستحيل على الشارع الأمر به أو إباحته ، بل يقطع أن الشرع يحرمه لاسيما إذا كان طريقه مفضياً إلى ما يبغضه الله ورسوله ، فكيف يظن بالحكيم الخبير أن يحرم مثل رأس الابزة من المسكر ، لأنه يشوق النفس إلى المسكر الذى يشوقها الى المحرمات ، ثم يبيح ماهو أعظم منها شوقا للنفوس إلى المحرم بكثير ، فان الغناء كما قال ابن مسعود : هو رقية الزنا ، وقد شاهد الناس أنه ماعاناه صبي إلا وفسد ، ولا امرأة إلا وبغت ، ولا شاب ولا شيخ إلا وقع فى محذور .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : فصل الخطاب فى هذا الباب ينبغى أن ينظر فى ماهية الشىء ثم يطلق عليه التحريم أو الكراهة أوغير ذلك ، والغناء اسم يطلق على أشياء منها : غناء الحجيج ، فانهم ينشدون أشعار يصفون فيها الكعبة وزمزم والمقام وغير ذلك ، فسماع تلك الأشعار مباح ، وفى معنى هؤلاء الغزاة : فانهم ينشدون أشعاراً يحرضون بها على الغزو ، وفى هذا المعنى

انشاد المتبارزين للقتال ، وقد قال صلى الله عليه وسلم لحاديه : « رويدك سوقا بالقوارير » وقال عبد الله بن رواحة يمدح النبي صلى الله عليه وسلم :

وفينا رسول الله يتلو كتابه إذا انشق معروف من الفجر ساطع
يبيت يجافى جنبه عن فراشه إذا استثقلت بالمشركين المضاجع
أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا به موقنات أن ماقال واقع

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه خرج على أهل الصفة وفيهم واحد يقرأ والباقى يستمعون فجلس معهم .

وقال الشيخ فى موضع : ولكن تكلموا فى الغناء المجرد عن آلات اللهو ، هل هو حرام ، أومكروه ، أومباح ، وذكر أصحاب أحمد لهم فى ذلك ثلاثة أقوال ، وذكرنا عن الشافعى قولين ، ولم يذكروا عن أبى حنيفة ومالك فى ذلك نزاعا ، وذكر زكريا بن يحيى الساجى وهو أحد الأئمة المتقدمين من المائلين إلى مذهب الشافعى ، أنه لم يخالف من الفقهاء المتقدمين الا ابراهيم ابن سعد من أهل المدينة ، وعبيد الله بن الحسن العنبرى من أهل البصرة ، وما ذكره أبو عبد الرحمن السلمى وأبو القاسم القشيرى وغيرهما عن مالك وأهل المدينة فى ذلك فغلط وانما وقعت به لأن بعض أهل المدينة كان يحضر السماع ، الا أن هذا ليس قول أئمتهم وفقهائهم .

وقال شيخ الإسلام أيضاً : وجماع الأمر فى ذلك أنه إذا كان الكلام فى السماع وغيره هل هو طاعة وقربة ، فلا بد من دليل شرعى يدل على ذلك ، وإذا كان الكلام هل هو محرم أو غير محرم ، فلابد من دليل شرعى يدل على ذلك ، إذ لا حرام إلا ما حرمه الله ، ولا دين إلا ما شرعه الله ،

والله تعالى سبحانه ذم المشركين على أنهم ابتدعوا في الدين مالم يأذن به الله ، وأنهم حرموا مالم يحرمه الله ، قال الله تعالى : (أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله) وقال تعالى : (وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها) الآية .

قال أبو سليمان الداراني : انه لتمر بي النكتة من نكت القوم فلا أقبلها إلا بشاهدين : الكتاب والسنة . وقال أيضاً : ليس لمن ألهم شيئاً من الخير أن يفعله حتى يسمع فيه بأثر فاذا سمع بأثر كان نوراً على نور . وقال الجنيد : علمنا هـــذا مقيد بالكتاب والسنة ، فمن لم يقرأ القرآن ويكتب الحديث ؛ لا يصلح له أن يتكلم في علمنا . وقال سهل بن عبد الله التستري : كل وجد لا يشهد له الكتاب والسنة فهو باطل . وقال: كل عمل على اقتداء فهو عذاب على النفس ، وكل عمل بلا اقتداء فهو عيش النفس . وقال أبو عثمان النيسابوري : من أمر السنة على نفسه قولا وفعلا نطق بالحكمة ، ومن أمر الهوى على نفسه قولا وفعلا نطق بالبدعة .

وقال أبو الفرج بن الجوزي : اعلم أن سماع الغناء يجمع شيئين: أحدهما: أن يلهي القلب عن التفكر في عظمة الله تعالى والقيام بخدمته . والثاني : أن يميله إلى اللذات العاجلة ويدعو إلى استيفائها من جميع الشهوات الحسية ومعظمها النكاح ، وليس تمام لذته إلا في المتجددات ولا سبيل إلى كثرة المتجددات من الحل ، فلذلك يحث على الزنا ، فبين الغناء والزنا تناسب ، من جهة أن الغناء لذة الروح ، والزنا أكبر لذات النفس .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في موضع من كلامه في السماع : وأما

أبو حنيفة ومالك والثورى ونحوهم ؛ فهم أعظم كراهة وانكاراً لذلك من الشافعى وأحمد .

وقال فى موضع آخر : ولم يحضره مثل ابراهيم بن أدهم ، ولا الفضيل ابن عياض ، ولا معروف الكرخى ، ولا السرى السقطى ، ولا أبو سليمان الدارانى ، ولا مثل الشيخ عبد القادر ، والشيخ عدى ، والشيخ أبى البيان ، والشيخ حياة وغيرهم ، بل فى كلام طائفة من هؤلاء ، مثل الشيخ عبدالقادر وغيره : النهى عنه . وكذلك أعيان المشايخ ، وقدحضره من المشايخ جماعة وشرطوا المكان والإمكان والخلان ، والشيخ الذى يحرس من الشيطان ، وأكثر الذين حضروه من المشايخ الموثوق بهم ، رجعوا عنه فى آخر عمرهم ، كالجنيد فانه كان يحضره وهو شاب وتركه فى آخر عمره ، وكان يقول : من تكلف السماع فتن به ، ومن صادف السماع استراح به ، فقد ذم من يجتمع له ورخص فيمن يصادفه من غير قصد ولا اعتماد للجلوس له، وسبب ذلك أنه مجمل ليس فيه تفصيل ، فإن الأبيات المتضمنة لذكر الحب ، والوصل ، والهجر ، والقطيعة ، والشوق ، والصبر على العزل ، واللوم ونحو ذلك ، هو قول مجمل يشترك فيه محب الرحمن ، ومحب الأوثان ، ومحب الصلبان ، ومحب الاخوان ، ومحب الأوطان ،ومحب النسوان ، ومحب الصبيان ، فقد يكون فيه منفعةإذ هيج القاطن أثار الساكن،وكان ذلك مما يحبه اللهورسوله، لكن تكون فيه مضرة راجحة على نفعه كما فى الخمر والميسر ، فان فيهما إثما كبيراً ومنافع للناس واثمهما أكبر من نفعهما . فلهذا لم يأت به الشريعة ، فان الشريعة لم تأت إلا بالمصلحة الخالصة أو الراجحة ، وأما ما تكون مفسدته غالبة على مصلحته فهو بمنزلة من يأخذ درهما بدينار ، أو يسرق

خمسة دراهم يتصدق منها بدرهمين ، وذلك أنه يهيج الوجد المشترك ، فيثير من النفس كوا من تضره آثارها ويغذى النفس ويقيتها به ، فتعتاض به عن سماع القرآن حتى لا يبقى فيها محبة لسامع القرآن ، ولا يلتذ به ولا يستطيبه، بل قد يبقى فى النفس بغض لذلك واستثقال به ، كمن يستثقل نفسه بتعلم التوراة ، والإنجيل ، وعلوم أهل الكتابين ، والصابئين ، واستفادة العلم والحكمة منها ، فأعرض بذلك عن كتاب الله وسنة رسوله إلى أشياء أخر يطول ذكرها .

فلما كان هذا السماع لا يعطى بنفسه ما يحبه الله ورسوله من الأحوال والمعارف ، بل قد يصد عن ذلك ويعطى ما لا يحبه الله ورسوله ، بل ما يبغضه الله ورسوله ، لم يأمر الله به ولا رسوله ، ولا سلف الأمة ولا أعيان مشايخها .

والصوت يؤثر فى النفس بحسب الأوقات تارة فرحاً ، وتارة حزناً ، وتارة غضباً ، وتارة رضا ، وإذا قوى السكر بصوت اللذة المطربة من غير تمييز ، كما يحصل للنفس إذا سكرت بالصور ، والجسد إذا سكر بالطعام والشراب ، فان السكر هو الطرب الذى يورث لذة بلا عقل، فلا تقوم منفعة تلك اللذة بما يحصل من غيبة العقل الذى صد عن ذكر الله وعن الصلاة وأورث العداوة والبغضاء .

وأما الرقص فلم يأمر الله عز وجل به ولا رسوله ، ولا أحد من الأئمة بل قال الله تعالى : (ولا تمش فى الأرض مرحا) والرقص شىء من هذا وقال تعالى : (واقصد فى مشيك) وقال تعالى : (وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً) أى بسكينة ووقار .

وإنما عبادة المسلمين الركوع والسجود ، بل الزفن والرقص فى الطريق لم يأمر الله به ولا رسوله ، ولا أحد من سلف الأمة ، بل أمروا فى الصلاة بالسكينة والوقار ، ولو ورد على الإنسان حال يغلب فيها حتى يخرج إلى حالة خارجة عن المشروع ، وكان ذلك الحال بسبب مشروع كسماع القرآن الكريم ونحوه لسلم إليه ذلك كما تقدم ، فأما الذى إذا تكلف من الأسباب مالم يؤمر به مع علمه بأنه يوقعه فيما لا يصلح له ، فهو بمنزلة من شرب الخمر مع علمه أنها تسكره ، وإذا قال ورد على حال وأنا سكران قيل له : إذا كان السبب محظوراً لم يكن صاحبه معذوراً ، فهذه الأحوال الفاسدة من كان فيها صادقاً فهو مبتدع ضال ، من جنس خفر التتر وأعوان الظلمة من ذوى الأحوال الفاسدة ، الذين ضاهوا عبادة النصارى والمشركين ببعض مالهم من الأحوال ، ومن كان كاذباً فهو منافق ضال .

﴿ فصل ﴾ وقد استدل قوم على إباحة السماع بأمور ألخصها لك :

منها : أنه مستلذ طيب تلتذ به النفوس وتستريح إليه ، وأن الطفل يسكن إلى الصوت الطيب ، بل بعض الصغار لا ينام حتى تحدو له القائمة بأمره والإبل تقاسى تعب السير ومشقة الحمولة فيهون عليها بالحداء .

ومنها : أن الصوت الطيب نعمة من الله على صاحبه وزيادة فى خلقه وقد يستدلون عليه بقوله : (يزيد فى الخلق ما يشاء) وبأن الله تعالى ذم الصوت الفظيع : (إن أنكر الأصوات لصوت الحمير) .

ومنها : أن الله وصف أهل الجنة أنهم : (فى روضة يحبرون) وأن ذلك هو السماع الطيب فكيف يكون حراماً وهو فى الجنة .

ومنها : ما ثبت أن الله تعالى ما أذن لشيء كاذنه أى كاستماعه لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن .

ومنها : أن أبا موسى الأشعرى ، استمع النبي صلى الله عليه وسلم لصوته وأثنى على حسن الصوت وقال : « لقد أوتى هذا مزماراً من مزامير آل داود » وقال له أبو موسى : لو أعلم أنك استمعت لحبرته لك تحبيراً — أى زينته وحسنته .

ومنها : قوله صلى الله عليه وسلم : « زينوا القرآن بأصواتكم » وقوله : « ليس منا من لم يتغن بالقرآن » والصحيح أنه من التغنى وهو تحسين الصوت به ، كذا ذكره العلامة ابن القيم وصححه ، ويعضده ما فسره الإمام أحمد فقال : يحسن صوته ما استطاع .

ومنها : أن النبي صلى الله عليه وسلم : أقر عائشة على غناء القينتين يوم العيد وقال لأبي بكر : « دعهما فان لكل قوم عيداً وهذا عيدنا أهل الإسلام » .

ومنها : أنه صلى الله عليه وسلم : أذن فى العرس بالغناء وسماه « لهواً » .

ومنها : أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الحداء وأذن فيه .

ومنها : أنه كان يسمع انشاد الصحابة ، وكانوا يرتجزون بين يديه فى حفر الخندق :

نحن الذين بايعوا محمدا على الجهاد ما بقينا أبدا

ودخل مكة والمرتجز يرتجز بين يديه بشعر عبد الله بن رواحة ، وحدا به الحادى فى منصرفه من خيبر فجعل يقول :

والله لولا الله ما اهتدينا ولا تصـــدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينة علينـــا وثبت الأقدام ان لاقينا
إن الألى قد بغوا علينا إذا أرادوا فتنـة أبينا

فدعا لقائلة .

ومنها : أنه سمع قصيدة كعب بن زهير وأجازه .

ومنها : أنه استنشد الأسود بن سريع قصائد حمد بها ربه ، واستنشـد من شـعر أمية بن أبي الصلت مائة قافية ، وأنشد الأعشى شيئاً من شعره فسمعه .

ومنها : أنه صدق لبيداً فى قوله :

ألا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل

ودعا لحسان أن يؤيده الله بروح القدس ما دام ينافح عنه ، وكان يعجبه شعره وقال له : «اهجهم وروح القدس معك» ، وأنشدت عائشة رضى الله عنها قول أبي كثير الهذلى :

وإذا نظرت إلى أسرة وجهه برقت كبرق العارض المتهلل

وقالت أنت أحق بهذا البيت فسر بقولها .

ومنها : أنهم ادعوا أنه رخص فيه عبد الله بن عمر وعبد الله بن جعفر وأهل المدينـة ، وبأن كذا وكذا ولى لله حضروه وسمعوه ، فمن حرمه فقـد قدح فى هؤلاء السادة القدوة الأعلام .

ومنها : أن إجماع العلماء منعقد على إباحة أصوات الطيور المطربة الشجية ،

فلذة سماع صوت الآدمى أولى بالاباحة أو مساوية وبأن السامع يجد وروح السامع وقلبه إلى نحو محبوبه ، فان كان محبوبه حراماً كان السماع معينا له على الحرام وهو حرام فى حقه ، وإن كان مباحاً كان السماع فى حقه مباحاً ، وإن كانت محبته رحمانية كان السماع فى حقه قربة وطاعه ، لأنه يحرك المحبة الرحمانية ويهيجها ، وبأن التذاذ الأذن بالصوت الطيب كالتذاذ العين بالمنظر الحسن ، والشم بالروائح الطيبة ، والذوق بالطعم الطيب ، فإذا كان هذا حراماً كانت هذه اللذات والادراكات محرمة .

والجواب عن ذلك وبالله التوفيق فيما تقدم من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية والعلامة ابن القيم وغيرهما كفاية ، وماذكر حيد عن المقصود وروغان عن محل النزاع فان جهة كون الشيء مستلذاً للحاسة ملائماً لها لايدل على إباحته ، ولا تحريمه ، ولا كراهته ، ولا استحبابه ، فان هذه اللذة تكون فى أحكام التكليف الخمسة ، فكيف يستدل بها على الإباحة من يعرف شروط الدليل ومواقع الاستدلال ، وهل هذا إلا بمنزلة من يستدل على إباحة الزنا بما يجد به فاعله من اللذة ، ولذته لا ينكرها ذو طبع سليم ، وهل يستدل بوجود اللذة الملائمة على حل اللذيذ الملائم أحد ، وهل خلت غالب المحرمات من اللذات ، وهل أصوات المعازف التى صح عن النبى صلى الله عليه وسلم تحريمها ، وأن فى أمته من يستحلها بأصح الأسانيد ، وأجمع أهل العلم على تحريم بعضها وقال بعضهم : بتحريم جملتها ، وقد حكى ابن الصلاح الاجماع على تحريم الغناء مع الدف والشبابة ، يعنى إذا كان معه آلة لهو ، وهل التلذاذ الإبل والطفل بالصوت الطيب دليل شرعى من إباحة أو تحريم ، وأعجب من هذا الاستدلال على الإباحة بأن الله تعالى خلق الصوت الطيب وهو زيادة نعمة

منه لصاحبه . فيقال : والصورة الحسنة الجميلة أليست زيادة فى النعمة ، والله تعالى خالقها ومعطى حسنها ، أفيدل ذلك على إباحة التمتع بها والالتذاذ بها على الإطلاق، وهل هذا إلا مذهب أهل الإباحة الجارين على رسوم الطبيعة، وهل فى ذم الله لصوت الحمار ما يدل على إباحة الأصوات المطربات بالنغمات الموزونات ، والألحان اللذيذات من الصور المستحسنات ، بأنواع القصائد المستحسنات بالدفوف والشبابات ، هذا من المضحكات المعجبات ، وأعجب من هذا الاستدلال على الإباحة بسماع أهل الجنة أنهم فى روضة يحبرون ، فما يخاف صاحب هذا الاستدلال ، فان هذا كمن يستدل على إباحة الخمر بأن فى الجنة خمراً ، وعلى إباحة لبس الحرير بأن لباس أهل الجنة الحرير، وعلى حل أوانى الذهب والفضة والتحلى بها للرجال ، فان هذا كله مباح لأهل الجنة .

فان قيل : قام الدليل على تحريم هذا ولم يقم على تحريم السماع . قيل : هذا الآن استدلال آخر على الاستدلال على إباحته لأهل الجنة ، فعلم أن استدلالك بإباحته لأهل الجنة استدلال باطل ، وقولك لم يقم دليل على تحريم السماع . فيقال : أى السماعات تعنى ، وأى المسموعات تريد ، فإن منهما : المحرم ، والمكروه ، والمباح ، والواجب ، والمستحب ، فعين نوعا يقع الكلام فيه نفياً وإثباتاً .

فان قلت : سماع القصائد مامدح الله به ورسوله وكتابه وهجى به أعداؤه ، فهذا لم يزل المسلمون يروونها ويسمعونها ويدرسونها ، وهى التى سمعها الرسول وأصحابه وأثاب عليها وحرض حسان عليها ، وهى التى غرت أصحاب السماع

الشيطاني فقالوا : تلك قصائد ويكفي هـــذا والسنة كلام ، والبدعة كلام ، والتسبيح كلام ، والغيبة كلام ، ولكن هل سمع رسول الله ﷺ وأصحابه سماعكم هذا المشتمل على قريب من مائة مفسدة ، ونظير هذا ما استدلوا به على أن الرسول استحسن الصوت الحسن وأذن فيه ، كما تقدم من حديث أبي موسى الأشعري وغيره ، فنقلوا هذا الاستحسان إلى صوت النســـوان والمردان وغيرهم ، بالغناء المقرون بالدفوف بالصنوج والشبابات والأوتار وغير ذلك من المعازف ، وذكر القدود ، والثغور ، والنهود ، والخصور ، ووصف فواتر العيون وسوادها ، وسواد الشعور ، ومحاسن الشباب ، وحمرة الخدود ، وذكر الوصل والصد ، والنجنى والهجران ، والعتاب والاستعطاف ، والاشتياق والقلق والفراق . وما أشبه ذلك ، مما هو أفسد للقلب من سكر الخمر ، وأي نسبة لسكر يوم ونحوه إلى سكرة العشق التي لا يستفيق صاحبها إلا في عسكر الهالكين أسيراً قتيلا حزيناً ، وهل يقاس سكرة الشراب إلى سكرة الأرواح بالسماع ، فان نازع منازع في سكر السماع وتأثيره في العقول والأرواح ، خرجوا عن الذوق والحس ، فظهرت مكابرة القوم ، فكيف يحمي الطبيب والمريض عما يشوش عليه صحته ، ويبيح له ما فيه أعظم السقم والكلام مع من وجد لا من فقد ، وأعجب من هذا من استدل على إباحة السماع المركب من الهيئة الاجتماعية ، اجتماع البنتين الصغيرتين وهما دون البلوغ عند امرأة صبية في يوم عيد وفرح ، بأبيات للعرب في وصف الشجاعة والحروب ومكارم الأخلاق والشيم ، فأين هذا من هذا ، والعجب أن هذا من أكبر الحجج عليهم فان الصديق سمى ذلك مزمور الشيطان ، وأقره على هذه التسمية مرخصاً فيه لجويريتين غير مكلفتين ، ولا مفسدة في إنشاده ولا

فى استماعه ، أفيدل هذا على إباحة مايفعلونه من السماع اليوم ، وأعجب من هذا كله الاستدلال على إباحته بما سمعه الرسول من الحد المشتمل على الحق والتوحيد، وهل حرم أحد مطلق الشعر وقوله واستماعه، وأعجب استدلالهم بإباحته على إباحة أصوات الطيور اللذيذة ، وهل هذا إلا من جنس قياس الذين قالوا : (إنما البيع مثل الربا) وأين أصوات الطيور إلى نغمات النسوان والمردان والأوتار والعيدان ، والغناء منهن بما يحدو الأرواح والقلوب إلى مواصلة كل محبوبة ومحبوب ، وأين الفتنة بمن هو من جنسك إلى الفتنة بصوت القمرى والبلبل والهزار والشحرور ونحوها ، وأعجب من هذا من قال إنه من أنكره فقد أنكر على كذا كذا ولى لله فحجة عامية ، نعم. ينكر أولياء الله على أولياء الله ، فقد أنكر عليهم من أولياء الله من هو أكثر منهم عدداً ، وأعظم عند الله وعند المؤمنين وقد تقاتل أولياء الله فى صفين بالسيوف ، ولما سار بعضهم إلى بعض كان يقال : « سار أهل الجنة إلى الجنة » وكون ولى الله يرتكب المكروه أو المحظور متأولا أو عاصياً ، لايمنع ذلك الإنكار عليه ولايخرجه عن أصل ولايته لله وهيهات هيهات أن يكون أحد من أولياء الله المتقدمين حضر هذا السماع ، المحدث المشتمل على هذه الهيئة التى تفتن القلوب أعظم فتنة .

وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية فى موضع من كلامه : قال إسحق بن موسى الطباع : سألت مالكا عما يترخص فيه أهل المدينة من الغناء فقال : إنما يفعله عندنا الفساق . وهذا النص عن مالك معروف فى كتب أصحاب مالك مشهور ، وهم أعرف بمذهبه وأضبط ممن ينقل عنه الغلط ، وعن أهل المدينة من طائفة بالمشرق لا علم بمذاهب الفقهاء ، ومن ذكر عن مالك أنه ضرب

يعود فقد افترى عليه ، وإنما نبهت على هـــذا لأن فيما جمعه أبو عبد الرحمن السلمي ومحمد بن طاهر المقدسي في ذلك حكايات وآثاراً يظن من لاخبرة له بالعلم وأحوال السلف أنها صدق ، وكان الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي فيه من الخير والزهد والدين والتصوف ، ما يحمله على أن يجمع من كلام الشيوخ والآثار التي توافق مقصوده كل ما يجده ، ولهذا يوجد في كتبه من الآثار الصحيحة والكلام ما ينتفع به في الدين ، ويوجد فيها من الآثار السقيمة والكلام المردود ما يضر من لا خبرة له ، وبعض الناس توقف في روايته حتى أن البيهقي كان إذا روى عنه يقول : حدثنا أبو عبد الرحمن من أصل سماعه ، وأكثر الحكايات التي يرويها أبو القاسم القشيري صاحب الرسالة عنه ، فانه كان أجمع شيوخه لكلام الصوفية ، ومحمد بن طاهر له فضيلة جيدة في معرفة الحديث ورجاله ، وهو من حفاظ وقته لكن كثير من المتأخرين أهل الحديث وأهل الزهد وغيرهم ، إذا صنفوا في باب ذكروا ما روى من غث وسمين ولم يميزوا ذلك اهـ كلامه .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في موضع آخر ، ذكر من صنف في السماع ومن روى فيه من الأحاديث الموضوعة والمكذوبة ثم قال : وكثير من المتأخرين أهل الحديث وأهل الزهد وأهل الفقه والتصوف وغيرهم ، إذا صنفوا في باب ذكروا ما روى فيه من غث وسمين ولم يميزوا ذلك ، كما يوجد في كثير ممن يصنف في الأبواب مثل : المصنفين في فضائل الشهور والأوقات ، وفضائل الأعمال والعبادات ، وفضائل الأشخاص وغير ذلك من الأبواب مثل : ما صنف بعضهم في فضائل صيام رجب وغيره ، وفي فضائل صلوات الأيام والليالي ، صلاة يوم الأحد ، وصلاة يوم الاثنين

والثلاثاء ، وصلاة أول جمعة فى رجب ، والتى أول رجب ونصف شعبان، وإحياء ليلة العيدين ، وصلاة يوم عاشوراء ، وكل هذا كذب باتفاق أهل العلم بالحديث ، وأجود حديث روى عن النبي صلى الله عليه وسلم فى صيام رجب ما رواه ابن ماجه عن النبي صلى الله عليه وسلم : « أنه نهى عن صيام رجب » وقد ثبت بالإسناد الصحيح عن عمر بن الخطاب أنه كان يضرب أيدى الناس فى رجب حتى يفطروا ويقول : لا تشبهوه برمضان ، وكذا كره إفراده بالصوم غير واحد من السلف والأئمة ، وأجود ما يروى من هذه الصلوات : حديث صلاة التسبيح وقد رواه أبو داود والترمذى وغيرهما، ومع هذا فلم يقل به أحد من الأئمة الأربعة ، بل الإمام أحمد ضعف الحديث وقال : لا يصح ولم يستحب هذه الصلاة ، وأما ابن المبارك والمنقول عنه فشىء مثل الصلاة المرفوعة ، فان تلك فيها قعدة طويلة بعد السجدة الثانية ، وهذا يخالف الأصول. فلا يجوز أن يثبت بمثل هذا الحديث ، ومن تدبر الأصول علم أنه موضوع، وأما سائر هذه الأحاديث فانها كلها أحاديث موضوعة مكذوبة باتفاق أهل المعرفة مع أنها توجد فى مثل كتاب أبى طالب ، وكتاب أبى حامد ، وكتاب الشيخ عبد القادر ، وتوجد فى مثل أمالى أبى القاسم ابن عساكر ، وفيما صنفه أبو حفص بن شاهين ، وعبد العزيز الكنانى ، وأبو على بن البناء ، وأبو الفضل بن ناصر وغيرهم ، وكذلك أبو الفرج ابن الجوزى ، ذكر مثل هذا فى كتاب فضائل الشهور، ويذكر فى الموضوعات أنه كذب موضوع .

والذين جمعوا الأحاديث فى الزهد والرقائق ، يذكرون ما روى فى هذا الباب ، ومن أجل ما صنف فى هذا الباب: كتاب الزهد لعبد الله بن المبارك

وفيه أحاديث واهية ، وكذلك كتاب الزهد لهناد بن السرى ، ولوكيع ، وكذلك الزهد لأسد بن موسى وغيرهم ، وأجود ما صنف فى ذلك : كتاب الزهد للامام أحمد ، لكنه مرتب على الأسماء ، وزهد ابن المبارك على الأبواب ، وهذه الكتب يذكر فيها زهد الأنبياء والصحابة والتابعين ، ثم ان المتأخرين على صنفين : منهم من ذكر زهد المتقدمين والمتأخرين ، كأبى نعيم فى الحلية ، وأبى الفرج فى صفوة الصفوة ، ومنهم من اقتصر على ذكر المتأخرين من حين حدث اسم الصوفية ، كما فعل أبو عبد الرحمن السلمى فى طبقات الصوفية ، وصاحبه أبو القاسم القشيرى فى رسالته ، ثم الحكايات التى يذكرها هؤلاء ونحوهم ، كابن خميس الموصلى وأمثاله يذكرون حكايات مرسلة ، بعضها صحيح وبعضها باطل قطعاً والله أعلم .

وقال الشيخ رحمه الله : والمقصود هنا أن المذكور عن سلف الأمة وأئمتها من المنقولات ، ينبغى للانسان أن يميز بين صحيحه وسقيمه ، كما ينبغى مثل ذلك فى المعقولات والنظريات ، وكذلك فى الأذواق والمواجيد والمكاشفات والمخاطبات ، فان كل صنف من هذه الأصناف الثلاثة فيها حق وباطل ، فلا بد من التمييز بين هذا وهذا ، وجماع ذلك أن ما وافق كتاب الله وسنة رسوله الثابتة عنه وما كان عليه أصحابه ، فهو حق وما خالف ذلك فهو باطل ، فان الله تعالى يقول : (يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم) الآية .

﴿ فصل ﴾ وأما من زعم أن الملائكة أو الأنبياء تحضر سماع المكاء والتصدية ، محبة له ورغبة فيه فهو كاذب مفتر ، بل انما تحضره الشياطين وهى التى تتنزل عليهم وتنفخ فيهم ، كما روى الطبرانى وغيره عن ابن عباس مرفوعا :

أن الشيطان قال : يارب اجعل لى بيتاً . قال : بيتك الحمام . قال : اجعل لى قرآنا . قال : قرآنك الشعر . قال : اجعل لى مؤذنا . قال : مؤذنك المزمار. وقد قال الله تعالى مخاطباً للشيطان : (واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك) وقد فسر ذلك بصوت الغناء ، وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « انما نهيت عن صوتين أحمقين فاجرين ، صوت لهو ولعب ومزامير الشيطان ، وصوت لطم خدود وشق جيوب ودعاء بدعوى الجاهلية » وقد كوشف جماعات من أهل المكاشفات بحضور الشياطين فى مجامع السماعات الجاهلية ذات المكاء والتصدية ، وكيف يدور الشيطان عليهم حتى يتواجدوا الوجد الشيطانى ، حتى أن بعضهم صار يرقص فوق رؤس الحاضرين ، ورأى بعض المشايخ المكاشفين أن شيطانه قد حمله حتى رقص به ، فلما صرخ شيطانه هرب وسقط ذلك الرجل ، وهذه الأمور لها أسرار وحقائق لا يشهدها إلا أهل البصائر الإيمانية والمشاهد الإيقانية ، ولكن من اتبع ماجاءت به الشريعة وأعرض عن السبل المبتدعة ، فقد حصل له الهدى وخير الدنيا والآخرة ، وان لم يعرف حقائق الأمور بمنزلة من سلك السبيل الى مكة خلف الدليل الهادى ، فانه يصل الى مقصوده ويجد الزاد والماء فى مواطنه ، وان لم يعرف كيف حصل ذلك وسببه ومن سلك خلف غير الدليل الهادى كان ضالا عن الطريق ، فاما أن يهلك ، واما أن يشقى مدة ثم يعود الى الطريق ، والدليل الهادى هو الرسول الذى بعثه الله الى الناس بشيراً ونذيراً ، وداعياً الى الله باذنه وسراجاً منيراً ، وهادياً الى صراط مستقيم ، صراط الله الذى له مافى السموات وما فى الأرض ، وآثار الشيطان تظهر على أهل السماع الجاهلى مثل : الازباد والارغاء والصراخات المنكرة

ونحو ذلك ، مما يضارع أهل الصرع الذين يصرعهم الشيطان ، وكذلك يجدون في نفوسهم من ثوران مراد الشيطان بحسب الصوت ، اما وجد في الهوى المذموم ، واما غضب وعدوان على من هو مظلوم ، واما لطم وشق ثياب وصياح كصياح المحزون المحروم، إلى غير ذلك من الآثار الشيطانية التي تعترى أهل الاجتماع على شرب الخمر إذا سكروا بها ، فان السكر بالأصوات المطربة قد يصير من جنس السكر بالأشربة المطربة ، فتصدهم عن ذكر الله وعن الصلاة وتمنع قلوبهم حلاوة القرآن ، وفهم معانيه واتباعه ، فيصيرون مضارعين للذين يشترون لهو الحديث ليضلوا عن سبيل الله ، وترفع بينهم العداوة والبغضاء حتى يقتل بعضهم بعضاً بأحواله الفاسدة الشيطانية ، كما يقتل العائن من أصابه بعينه ، ولهذا قال من قال من العلماء : إن هؤلاء يجب عليهم القود والدية إذا عرف أنهم قتلوا بالأحوال الفاسدة لأنهم ظالمون ، وهم إنما يغتبطون بما ينفذونه من مراداتهم المحرمة كما يغتبط الظلمة المسلطون ، ومن هذا الجنس حال فقراء الكافرين والمبتدعين والظالمين ، فانهم قد يكون لهم زهد وعبادة وهمة ، كما يكون للمشركين وأهل الكتاب ، وكما كان للخوارج المارقين الذين قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم : « يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم ، وصيامه مع صيامهم، وقراءته مع قراءتهم ، يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم » الحديث وقد يكون لهم مع ذلك أحوال باطنة كما يكون لهم ملكة ظاهرة ، فان سلطان الباطن مضاه لسلطان الظاهر ، ولا يكون من أولياء الله إلا من كان من الذين آمنوا وكانوا يتقون ، وما فعلوه من الإعانة على الظلم يستحقون العقاب عليه بقدر الذنب ، وباب القدرة والتمكن ظاهراً وباطناً ليس مستلزماً لولاية الله ، بل قد يكون ولي الله متمكناً ذا سلطان وقد يكون مستضعفاً إلى أن ينصره

الله ، وقد يكون عدو الله مستضعفاً ، وقد يكون مسلطاً إلى أن ينتقم الله منه لخفراء السر فى الباطن من جنس التتر فى الظاهر ، هؤلاء فى العباد بمنزلة هؤلاء فى الأجناد ، وأما الغلبة ، فان الله قد يديل الكافرين كما كان يكون لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مع عدوهم ، لكن العاقبة للمتقين فإن الله يقول: (إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد) وإذا كان فى المسلمين ضعف وكان العدو مستظهرا عليهم ، كان ذلك لسبب ذنوبهم وخطاياهم إما لتفريطهم فى أداء الواجبات باطناً وظاهراً ، واما لعداواتهم بتعدى الحدود باطناً وظاهراً قال الله تعالى : (إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا) وقال تعالى :(أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم) وقال تعالى :(ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور) .

قال الشيخ فى موضع آخر : وأما اتخاذ التصفيق ، والغناء ، والضرب بالدفوف ، والنفخ فى الشبابات ، والاجتماع على ذلك ديناً وطريقاً إلى الله وقربة ، فهذا ليس من دين الإسلام ، وليس مما شرعه لهم نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم ولا أحد من خلفائه ، ولا استحسن ذلك أحد من أئمة المسلمين ، بل ولم يكن أحد من أهل الدين يفعل ذلك على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا عهد أصحابه ، ولا تابعيهم بإحسان ، ولا تابعى التابعين ، بل لم يكن أحد من أهل الدين من الأعصار الثلاثة لا بالحجاز . ولا بالشام ، ولا باليمن ، ولا العراق ، ولا خراسان ، ولا المغرب ، ولا مصر ، يجتمع على مثل هذا السماع ، وإنما

ابتدع في الإسلام بعد القرون الثلاثة ، ولهذا قال الشافعي لما رأى ذلك : خلفت ببغداد شيئاً أحدثته الزنادقة .

سئل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن رجل يحب السماع والرقص ، فأنكر عليه رجل فقال هذه الأبيات :

أنكروا رقصاً وقالوا حرام فعليهم من أجل ذاك سلام
اعبد الله يافقيه وصل والزم الشرع فالسماع حرام
بل حرام عليك ثم حلال عند قوم أحوالهم لاتلام
مثل قوم صفوا وبان لهم من جانب الطور جذوة كلام
فاذا قوبل السماع بلهو فحرام على الجميع حرام

أجاب : الحمد لله رب العالمين. هذا الشعر يتضمن منكراً من القول وزورا ، بل أوله يتضمن مخالفة الشريعة ، وآخره يفتح باب الزندقة والإلحاد المخالفة للحقيقة الإلهية الدينية النبوية ، وذلك أن قول القائل : مثل قوم صفوا وبان لهم من جانب الطور جذوة وكلام . يتضمن تمثيل هؤلاء بموسى بن عمران الذى نودى من جانب الطور ، ولما رأى النار قال لأهله امكثوا انى آنست ناراً لعلى آتيكم منها بقبس أو جذوة من النار لعلكم تصطلون ، وهذا قول طائفة من الناس يسلكون طريق الرياضة والتصفية ، ويظنون أنهم بذلك يصلون إلى أن يخاطبهم الله كما خاطب موسى ابن عمران ، وهؤلاء ثلاثة أصناف :

صنف يزعمون أنهم يخاطبون أعظم مما خوطب به موسى بن عمران ، كما

يقول ذلك من يقوله من أهل الوحدة والاتحاد، القائلين بأن الوجود واحد كصاحب الفصوص وأمثاله، فإن هؤلاء يدعون أنهم أعلى من الأنبياء وأن الخطاب الذى يحصل لهم من الله أعلى مما يحصل لإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد.

ومعلوم أن هذا الكفر أعظم من كفر اليهود والنصارى، الذين يفضلون الأنبياء على غيرهم، لكن يؤمنون ببعض الأنبياء ويكفرون ببعض.

والنوع الثانى: من يقول: إن الله يكلمه مثل كلام موسى بن عمران، كما يقول ذلك من يقوله من المتفلسفة ومتصوفتهم الذين يقولون: ان تكليم موسى فيض فاض على قلبه من العقل الفعال. ويقولون: إن النبوة مكتسبة.

والنوع الثالث: الذين يقولون: ان موسى أفضل، لكن صاحب الرياضة قد يسمع الخطاب الذى سمعه موسى، ولكن موسى مقصود بالتكليم دون هذا، كما يوجد هذا فى أخبار صاحب مشكاة الأنوار، وكذلك سلك مسلكه صاحب خلع النعلين وأمثالهما، وأما قوله فى أول الشعر لمن يخاطبه: الزم الشرع يافقيه وصل. يشعر بأنك أنت تبع الشرع، وأما نحن: فلنا إلى الله طريق غير الشرع، ومن ادعى أن له إلى الله طريقاً يوصله إلى رضوان الله وكرامته وثوابه غير الشريعة التى بعث الله بها رسوله، فانه أيضاً كافر يستتاب، فان تاب وإلا ضربت عنقه كطائفة: استعطوا وزعموا أن العبد يصل إلى الله بلا متابعة الرسل، وطائفة يظنون أن الخواص من الأولياء يستغنون عن متابعة محمد صلى الله عليه وسلم، كما استغنى الخضر عن متابعة موسى، وجهل هؤلاء أن موسى لم يكن مبعوثاً إلى الخضر، ومحمد صلى الله عليه وسلم رسول

إلى كل أحد ظاهراً وباطناً ، مع أن قضية الخضر لم تخالف شريعة موسى ، بل وافقتها ولكن الأسباب المبيحة للفعل لم يكن موسى علمها ، فلما علمها تبين أن الأفعال توافق شريعته لاتخالفها .

سئل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن مؤذن يصعد إلى المأذنة ينشد أبياتاً يذكر فيها : الفراق ، والبين ، وتفرق الأحباب ، فأنكر عليه رجل فقال له: لاتفعل هذا . وعليك بالتسبيح ، والتحميد ، والقصائد الربانية ، فهل أصاب أم لا ؟

أجاب رضى الله عنه : الحمد لله، نعم . ينهى المؤذن أن ينشد الأبيات التى هى من جنس النياحة والمراثى ، وكذلك ما كان من جنس الغزل فان فى ذلك مفاسد كثيرة ، وليس ذلك من ذكر الله المشروع للمؤذن ، ولابأس بالأبيات المتضمنة لذكر الآيات والأخبار والتوبة والاستغفار والله أعلم .

﴿ فصل ﴾ نافع إن شاء الله لمن تدبره فى قوله تعالى :(فطرة الله التى فطر الناس عليها) قال العلماء من المفسرين والنحاة : معناه الزموا واتبعوا دين الله الذى خلق الناس له ، ولهذا نصب على المصدر ومعنى ذلك: فطر الله الناس على ذلك فطرة ، وفطر الناس عليها : أى لها . وهذه الفطرة أضافها الله اليه إضافة مدح لاإضافة ذم ، فعلم أنها فطرة محمودة لامذمومة يبين ذلك قوله : (فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها) ولهذا نصب على المصدر الذى دل عليه الفعل الأول عند سيبويه وأصحابه ، فدل على أن إقامة الوجه للدين حنيفا : هو فطرة الله التى فطر الناس عليها مثل قوله :(كتاب الله عليكم . وسنة الله) فهو عندهم منصوب بفعل مضمر لازم اضماره دل عليه الفعل المتقدم

كأنه قال : كتب الله عليكم وسن الله ذلك لكم ، وكذلك وفطر الله الناس على ذلك .

ثم اختلف العلماء والمفسرون فى تفسير الفطرة على أقوال ، وكذلك الخلاف .

تمت الرسالة الثالثة عشر

ويليها الرسالة الرابعة عشر : فى الكلام على الفطرة